نقد الحديث

د/ بهاء محمد الشاهد
الأستاذ المساعد بقسم الحديث

النقد فى اللغة : تمييز الدراهم وغيرها ، وإخراج الزيف منها .

قال سيبويه :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة
نفى الدنانير تنقاد الصيارف(١)

النقد عند المحدثين : تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة والحكم على الرواة توثيقا وتجريحا .

نشأة النقـــد

بدأ النقد للحديث فى حياة النبى ﷺ — وقد بدأ على نطاق ضيق ، ولم يتعد كونه استفسارا من النبى ﷺ نفسه ، لا لتكذيب بعضهم بعضا وإنما للتوثيق والاطمئنان القلبى .

ومن أمثلة ذلك :

. . . عن أنس بن مالك ، قال : نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شىء . فكان يعجبنا أن يجىء الرجل من أهل البادية العاقل . فيسأله ونحن نسمع . فجاء رجل من أهل الباديه . فقال : يامحمد : أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ؟ قال : «صدق» قال : فمن خلق السماء؟ قال: الله قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : «الله» قال : فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ قال : «الله» قال : فبالذى خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال . آلله أرسلك ؟ قال : «نعم» . قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا قال : « صدق » قال : فبالذى أرسلك آلله أمرك

(١) أنظر لسان العرب ٣/٤٢٥ ، والقاموس المحيط : ١/٣٤١. والمصباح المنير ٢/٩٥٩

بهذا قال : «نعم» قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا قال. صدق قال فبالذى أرسلك . آلله أمرك بهذا ؟ قال : «نعم» قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان فى سنتنا . قال : «صدق» . قال : فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : « نعم » . قال . وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا . قال : « صدق » قال : ثم ولى قال : والذى بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن . فقال النبى ﷺ — : « لئن صدق ليدخلن الجنة »(١) .

ثم أخذ النقد فى عصر الصحابة — رضى الله عنهم شكلا آخر غير ما كان عليه فى حياة النبى — ﷺ — فقد أخذ شكله الاصطلاحى من القبول والرد .

وكان لا بد من وجوده حيث إن الضبط والحفظ لا مدخل لها فى العدالة .

فالصحابة رضى الله عنهم كلهم عدول . أما الضبط والحفظ فشىء آخر ، فقد حفظ منهم من حفظ ، ونسى منهم من نسى ، وكان بعضهم أحفظ من بعض .

ومن أمثلة النقد فى عصر الصحابة :

(١) قال الحافظ الذهبى فى ترجمة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « وهو الذى سن للمحدثين التثبت فى النقل ، وربما كان يتوقف فى خبر الواحد إذا ارتاب .

(١) صحيح البخارى فى كتاب العلم باب ما جاء فى العلم ... إلخ ١/٢٤ وصحيح مسلم فى كتاب الإيمان باب السؤال عن أركان الإسلام ١/٤١، ٤٢ واللفظ له .

فروى الجريرى عن أبى نضره عن أبى سعيد أن أبا موسى سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن له ، فرجع ، فأرسل عمر فى أثره ، فقال : لم رجعت ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع » .

قال : لتأتينى على ذلك ببينة أو لأفعلن بك ، فجاء أبو موسى منتقعا ، لونه ونحن جلوس ، فقلنا : ما شأنك ؟ فأخبرنا وقال : فهل سمع أحد منكم؟ فقلنا : نعم ، كلنا سمعه ، فأرسلوا معه رجلا منهم حتى أتى عمر فأخبره »(١).

فنجد أن طلب عمر رضى الله عنه التثبت برواية غير أبى موسى لهذا الحديث تقرر أنهم كانوا يعتبرون معاضدة حديث ما برواية غيره له أو لمثله مما يؤيده أولى من الذى لا يعضده شىء .

وسوف يأتى مزيد من الأمثلة عند الكلام على مقاييس النقد عند الصحابة وكما كان الحال فى عصر الصحابة كان النقد فى عصر التابعين فقد اقتدوا بالصحابة وسلكوا مسلكهم .

قال الحافظ ابن حبان : « ثم أخذ مسلكهم واستن بسنتهم واهتدى بهديهم فيما استنوا من التيقظ فى الروايات جماعة من أهل المدينة من سادات التابعين منهم : سعيد بن المسيب ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر ، وسالم بن عبد الله بن عمر وعلى بن الحسين بن على ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وخارجه بن زيد بن ثابت ، وعروة بن الزبير بن العوام ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ،

(١) تذكرة الحفاظ ١/٦ ، ٧ ، والحديث فى صحيح البخارى فى كتاب الاستئذان باب التسليم والاستئذان ثلاثا ٨/٦٧
وفى صحيح مسلم فى كتاب الآداب باب الاستئذان ٣/١٦٩٤

وسليمان بن يسار ، فجدوا فى حفظ السنن والرحلة فيها ، والتفتيش عنها والتفقه فيها ولزوم الدين ودعوة المسلمين »(١) .

لكن المهمة فى عصر التابعين كانت أكبر فقد كثرت الفتن ، ونتيجة لذلك ظهر الكذب فى حديث رسول الله ﷺ فاهتم التابعون من أجل ذلك بالتفتيش عن الرجال ومعرفة مذاهبهم العقدية ، وقد بدأ الاهتمام بالإسناد والسؤال عنه .

فقد روى الإمام مسلم فى مقدمة صحيحه بسنده عن ابن سيرين قال : لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا : سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم »(٢) .

وقد امتاز النقد فى عصر التابعين بالبحث عن العدالة بجانب الضبط نتيجة الظروف التى عاشوها والأحداث التى كانت .

ومن أمثلة النقد فى عصر التابعين :

(أ) ما روى ابن عدى فى الكامل بسنده عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم ، قال : وقال سعيد بن المسيب : وهم ابن العباس ، وإن كانت خالته ، ما تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم إلا بعد ما أحل(٣) .

(١) المجروحين ١/٢٨ وانظر مقدمة الكامل فى ضعفاء الرجال لابن عدى ١/٦٤ — ٧٩

(٢) صحيح مسلم فى المقدمة باب بيان أن الإسناد من الدين . . . إلخ ١/١٥

(٣) الكامل فى ضعفاء الرجال ١/٦٤

(ب) ما روى ابن عدى أيضا بسنده عن القاسم بن عاصم قال : قلت لسعيد بن المسيب : إن عطاء الخراسانى حدثنى عنك أن النبى ﷺ أمر الذى واقع فى رمضان بكفارة الظهار؟ فقال : كذب ، ماحدثته، وإنما بلغنى أن النبى ﷺ قال : تصدق ، تصدق (١) .

وكما اقتدى التابعون بالصحابة وسلكوا مسلكهم فى النقد كذلك جاء أتباع التابعين فاقتدوا بمن سلفهم ، فاتسع النقد وبرزت مدارس نقدية متميزة فى عصرهم .

قال الإمام ابن حبان : « ثم أخذ عن هؤلاء — التابعين — مسلك الحديث وانتقاد الرجال وحفظ السنن : والقدح فى الضعفاء جماعة من أئمة المسلمين والفقهاء فى الدين منهم : سفيان الثورى، ومالك بن أنس ، وشعبة ابن الحجاج ، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى، وحماد بن سلمة ، والليث بن سعد ، وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة فى جماعة معهم .

إلا أن من أشدهم انتقاء للسنن وأكثرهم مواظبة عليها حتى جعلوا ذلك صناعة لهم لا يشوبونها بشىء آخر ثلاثة أنفس : مالك ، والثورى ، وشعبة »(٢) .

ومن أمثلة النقد فى عصر أتباع التابعين :

(ا) روى ابن عدى بسنده عن ابن علية قال قال شعبة : لا يجىء الحديث الشاذ إلا من الرجل الشاذ (٣) .

---

(١) الكامل فى ضعفاء الرجال ١/٦٤

(٢) المجروحين ١/٣٠ وانظر مقدمة الكامل فى ضعفاء الرجال لابن عدى ١/٨٠ — ١١٦

(٣) الكامل فى ضعفاء والرجال ١/٨١

(ب) وروى أيضا بسنده عن شعبه قال : حدثنى الحكم بن عبدالرحمن ابن أبى ليلى عن على بن أبى طالب بحديث عن النبى ﷺ ولو حدثتكم به لترقصتم كلكم ، والله لا تسمعونه منى أبدا (١) .

(جـ) وروى أيضا بسنده عن محمد بن الغصن قال : سمعت نعيم بن حماد يقول : قيل لابن المبارك ياأبا عبد الرحمن : تكثر القعود فى البيت وحدك؟ قال: أنا وحدى وأنا مع النبى ﷺ وأصحابه — يعنى النظر فى الحديث — (٢)

ثم اقتدى بهؤلاء — أتباع التابعين — جماعة من العلماء ساروا على درب أسلافهم .

قال الإمام ابن حبان : « ثم أخذ عن هؤلاء بعدهم الرسم فى الحديث والتنقير عن الرجال والتفتيش عن الضعفاء والبحث عن أسباب النقل جماعة منهم : عبدالله بن المبارك ، ويحيى بن سعيد القطان ، ووكيع بن الجراح ، وعبد الرحمن بن مهدى ومحمد بن إدريس المطلبى الشافعى فى جماعة معهم .

إلا أن من أكثرهم تنقيرا عن شأن المحدثين ، وأتركهم للضعفاء والمتروكين حتى يجعله لهذا الشأن صناعة لهم لم يتعدوها إلى غيرها مع لزوم الدين والورع الشديد والتفقه فى السنن : رجلان : يحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدى »(٣) .

ومن أمثلة النقد عند هؤلاء الأئمة :

(ا) روى ابن عدى بسنده عن أحمد بن الحسن الترمذى سمعته يقول :

---

(١) المرجع السابق ١/٨٢ (٢) المرجع السابق ١/١١٤

(٣) المجروحين ١/٣٨. وانظر مقدمة الكامل فى ضعفاء الرجال لابن عدى ١/١١٧ — ١٢٦

قلت لعبد الرحمن بن مهدى : كيف تعرف الصواب من الكذب ؟ قال : كما يعرف الطبيب المجنون (١) .

(ب) وروى أيضا بسنده عن محمد بن إسماعيل البخارى قال : سمعت على بن عبد الله يقول : جاء رجل إلى عبد الرحمن فقال يا أبا سعيد إنك تقول للشيء : هذا صحيح ، وهذا لم يثبت .

فعمن تقول ذلك ؟ قال عبد الرحمن : أرأيت لو أتيت الناقد فأريته دراهمك فقال : هذا جيد ، وهذا ستوق ، وهذه بهرج ، أكنت تسأل عم ذلك ؟ أو كنت تسلم الأمر إليه ؟ قال: لا بل كنت أسلم الأمر إليه ، قال: فهذا كذلك لطول المجالسة أو المناظرة ، والخبرة(٢) .

يقول ابن حبان : « ثم أخذ عن هؤلاء مسلك الحديث والاختبار ، وانتقاء الرجال فى الآثار ، حتى رحلوا فى جمع السنن إلى الأمصار ، وفتشوا المدن والأقطار وأطلقوا على المتروكين الجرح ، وعلى الضعفاء القدح ، وبينوا كيف أحوال الثقات والمدلسين والأئمة والمتروكين ، حتى صاروا أعلاما يقتدى بهم فى الآثار وأئمة يسلك مسلكهم فى الأخبار جماعة منهم : أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين وعلى بن عبد الله المدينى ، وأبو بكر بن أبى شيبة ، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلى وعبيد الله بن عمر القواريرى ، وزهير بن حرب أبو خيثمة فى جماعة من أقرانهم . إلا أن من أورعهم فى الدين وأكثرهم تفتيشا على المتروكين ، وألزمهم لهذه الصناعة على دائم الأوقات منهم كان : أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلى بن المدينى رحمة الله عليهم أجمعين »(٣) .

(١) الكامل فى ضعفاء الرجال ١/١١٨

(٢) الكامل فى ضعفاء الرجال ١/١١٨

(٣) المجروحين ١/٤٠ ، ٤١ وانظر مقدمة الكامل فى ضعفاء الرجال لابن عدى ١/١٢٧ — ١٣٩

ومن أمثلة النقد عند هؤلاء :

(ا) روى ابن عدى بسنده ..... سمعت على بن المدينى يقول : غلط عبد العزيز فى حديث سهيل عن الأعمش : [الإمام ضامن](١) .

(ب) وروى ابن عدى أيضا بسنده .... سمعت أبا بكر بن أبى شيبة يتكلم فى يحيى ابن معين ، ويقول : من أين له حديث حفص بن غياث عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : « من أقال نادما أقاله الله عثرته يوم القيامة »....(٢)

ثم يقول ابن حبان : « ثم أخذ عن هؤلاء مسلك الانتقاء فى الأخبار وانتقاد الرجال فى الآثار جماعة منهم : محمد بن يحيى الذهلى النيسابورى ، وعبد الله بن عبد الرحمن الدرامى ، وأبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم ابن يزيد الرازى ، ومحمد بن اسماعيل الجعفى البخارى ، ومسلم بن الحجاج النيسابورى ، وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى فى جماعة من أقرانهم أمعنوا فى الحفظ وأكثروا فى الكتابة وأفرطوا فى الرحلة وأضبوا على السنن ، والمذاكرة ، والتصنيف ، والمدارسة ، حتى أخذ عنهم من نشأ عن بعدهم من شيوخنا هذا المذهب وسلكوا هذا المسلك »(٣)

ومن أمثلة النقد عند هؤلاء :

ما رواه ابن عدى بسنده عن عثمان بن حرزاد قال : سمعت سليمان الشاذكونى يقول جاءنى محمد بن مسلم بن دارة فقعد يتعثر فى كلامه ، قال:

(١) الكامل فى ضعفاء الرجال ١/١٣٠

(٢) المرجع السابق ١/١٣٣ ، ١٣٤

(٣) المجروحين ١/٤٣ ، ٤٤ وانظر مقدمة الكامل فى ضعفاء الرجال لابن عدى ١/١٤٠ — ١٤٧

قلت له من أى بلد أنت ؟ قال : من أهل الرى ، قال : قلت : ثم ؟ قال : ألم يأتك خبرى ، ألم تسمع بنبأى ؟ أنا ذو الرحلتين . قال : قلت : من روى عن النبى ﷺ : [إن من الشعر حكما ، وإن من البيان سحراً] ؟ قال : فقال : حدثنى أصحابنا ، قلت : من أصحابك ؟ قال : أبو نعيم ، وقبيصة . قال : قلت : ياغلام ائتنى بالدرة ، قال . فأتانى الغلام بالدرة ، قال : وأمرته حتى ضربه الغلام خمسين ، فقلت له أنت تخرج من عندى ما آمن أن تقول : حدثنى بعض علمائنا (١) .

وإذا كان السند ضروريا للحكم على كل حديث ، فلا غرابة حينئذ أن يكون اهتمام المحدثين به فى المقام الأول ، لأن الحكم على الحديث لايكون إلا بعد النظر فى إسناده .

لكن الحكم بصحة الحديث لا يكفى فيها عندهم أن يكون باسناد لا كذاب فيه بل لابد من شروط أخرى توجع إلى الرواى وإلى الرواية نفسها .

وقد أجمل هذه الشروط الإمام الشافعى فى الرسالة فقال :

« ولا تقوم الحجه بخبر الخاصة — أى الواحد — حتى يجمع أمورا :

منها : أن يكون من حدث به ثقة فى دينه معرفا بالصدق فى حديثه ، عاقلا لما يحدث به عالما بما يحيل معانى الحديث من اللفظ . . . حافظا إن حدث به من حفظه حافظا لكتابه إن حدث من كتابه ، إذا شرك أهل الحفظ فى الحديث وافق حديثهم .

بريا من أن يكون مدلسا ، ويحدث عن النبى مايحدث الثقات خلافه عن

(١) الكامل فى ضعفاء الرجال ١/١٤٣ . وأنظر : أسباب أختلاف المحدثين ١/٣٥ وما بعدها

النبى ، ويكون هذا من فوقه ممن حدثه حتى ينتهى بالحديث موصولا إلى النبى أو إلى من أنتهى به إليه دونه » (١) .

كما أنه لابد وأن تكون الرواية غير شاذة . وليس الشاذ من الحديث أن يروى الثقة ما لا يروى غيره ، إنما الشاذ أن يروى الثقة حديثا يخالف ما روى الناس .

فالشذوذ مصطلح يتعلق بالمتن أكثر مما يتعلق بالإسناد . لذلك راعى المحدثون ذلك فاشترطوا فى الحديث الصحيح أن لا يكون شاذا ولا معلا (٢) .

وإذا كان الوثوق بالمتن لا يتم إلا بعد الوثوق من إسناده فالاهتمام بالإسناد إنما هو اهتمام بالمتن .

وأيضا فالمتن لا يحكم له بالصحة لكون رواته ثقات فقط بل لابد من توافر شروط أخرى .

قال ابن الجوزى : « وقد يكون الإسناد كله ثقات ويكون الحديث موضوعا ، أو مقلوبا ، أو قد جرى فيه تدليس ، وهذا أصعب الأحوال ، ولا يعرف ذلك إلا النقاد » (٣) .

وإذا كان المستشرقون ومن نحا نحوهم يتهمون المحدثين بالاهتمام بنقد السند تاركين المتن دون اهتمام ، فالواقع يرد على أمثال هؤلاء ، لأن الاهتمام بنقد السند والمتن كانا معاً منذ نشأة النقد ، ولا يمكن الفصل بينهما .

(١) الرسالة : ٣٧٠ — ٣٧١
(٢) انظر : التقييد والإيضاح : ٨٣
(٣) الموضوعات : ١ /٩٩ — ١٠٠

بل هناك مقاييس وضعت لنقد المتن . منها .

أولا : عند الصحابه :

١ — عرض الحديث على القرآن .

ولا يعنى هذا رد كل حديث ظاهره مخالفة القرآن . لأن المخالفة التى نعنيها هنا هى المعارضه من كل وجه ، وعدم إمكان الجمع بينهما بوجه من أوجه الجمع المعروفة .

فقد يرد حديث يخالف ظاهره القرآن لكن هذه المخالفة سرعان ماتزول . فلعل هذا الحديث ورد مخصصا لعموم الآيه ، أو مقيدا لمطلقها ، أو ناسخا لحكمها .

وأمثلة هذا المقياس كثيرة منها :

(ا) ما روى مسلم بسنده عن عبد الله بن أبى بكر عن أبيه عن عمرة بنت عبد الرحمن أنها أخبرته أنها سمعت عائشة ، وذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول : إن الميت ليعذب ببكاء الحى . فقالت عائشة : يغفر الله لأبى عبد الرحمن أما إنه لم يكذب ، ولكنه نسى ، أو أخطأ . إنما مر رسول الله ﷺ على يهودية يبكى عليها . فقالت « إنهم ليبكون عليها ، وإنها لتعذب فى قبرها » (١).

وفى رواية أخرى : وقالت عائشة : حسبكم القرآن : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » (٢).

---

(١) صحيح مسلم فى كتاب الجنائز باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ٢/٦٤٣

(٢) من الآية ١٦٤ من سورة الأنعام والحديث بتمامه فى صحيح مسلم فى كتاب الجنائز باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ٢/٦٤١، ٦٤٢

وليس معنى ذلك : الاكتفاء بالقرآن عن السنه ، بل المعنى : أن القرآن يكفى دليلا على تخطئة راوى هذا الحديث بهذا اللفظ .

(ب) ..... أن رجلين دخلا على عائشة فقالا : إن أبا هريرة يحدث أن نبى الله ﷺ كان يقول : أنما الطيرة فى المرأة والدابة والدار ، قال : فطارت شقة منها فى السماء ، وشقة منها فى الأرض ، وقالت : والذى أنزل القرآن على أبى القاسم ما هكذا كان يقول ولكن كان نبى الله ﷺ يقول : « كان أهل الجاهلية يقولون : الطيرة فى المرأة والدابة والدار » ثم قرأت عائشة : « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها » (١).

فالحديث برواية أبى هريرة مخالف لقوله تعالى : « وما أصاب من مصيبة ... الآية لذا غضبت السيدة عائشة وصححت الحديث كما أراده النبى ﷺ .

(ح) ما روى مسلم بسنده عن أبى إسحاق . قال كنت مع الأسود ابن يزيد جالسا فى المسجد الأعظم ومعنا الشعبى ، فحدث الشعبى بحديث فاطمة بنت قيس أن رسول الله ﷺ لم يجعل لها سكنى ولا نفقة . ثم أخذ الأسود كفا من حصى فحصبه به فقال : ويلك ! تحدث بمثل هذا . قال عمر : لانترك كتاب الله وسنة نبينا ﷺ لقول امرأة . لاندرى لعلها حفظت أو نسيت . لها السكنى والنفقة . قال الله عز وجل : « لاتخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة » (٢) .

---

(١) من الآية ٢٢ من سورة الحديد وانظر الإجابة لإيراد ما استدركته السيدة عائشة على الصحابه للزركشى ١١٥

(٢) من الآية ١ من سورة الطلاق . والحديث فى صحيح مسلم فى كتاب الطلاق باب المطلقة ثلاثا لا نفقه لها ٢/١١١٨ — ١١١٩

ولا يعنينا هنا أن نرجح قولا على آخر بقدر ما يعنينا إثبات أن الصحابة استعملوا هذا المقياس .

٢ — عرض السنة بعضها على بعض .

لقد كان منهج الصحابة رضى الله عنهم فى المقيـــاس الأول متسما بالوضوح . وذلك لاتفاقهم على حكم القرآن ووثوقهم به . إلا أن منهجهم فى المقياس الثانى وهو عرض السنة بعضها على بعض لم يكن بذلك القدر، لأنه استدلال بحديث فى مواجهة حديث آخر . وذلك يستدعى ترجيح حديث على آخر ، أو الأخذ بحديث وترك غيره من الأحاديث المخالفة له .

ووجوه الترجيح كثيرة منها :

(ا) سؤال صاحب الاختصاص . كما حدث فى كثير من المسائل التى كانت تحدث داخل بيت النبى ﷺ . فيرسلون إلى إحـــدى أمهات المؤمنين يستطلعون عندها حكم رسول الله ﷺ فترسل لهم بالجواب . ومن أمثلة ذلك :

ما رواه مسلم بسنده عن عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن عن أبى بكر قال سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقص ، يقول فى قصصه : من أدركه الفجر جنبا فلا يصم . فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث (لأبيه) فأنكر ذلك ، فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه . حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما فسألهما عبد الرحمن عن ذلك قال فكلتاهما قالت : كان النبى ﷺ يصبح جنبا من غير حلم ثم يصوم . قال : فانطلقنا حتى دخلنا على مروان فذكر ذلك له عبد الرحمن فقال مروان : عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبى هريرة فرددت عليـــه ما يقول . قال : فجئنا أبا هريرة وأبو بكر حاضر ذلك كله . قال فذكر له عبد الرحمن

فقال أبو هريرة : أهما قالتاه لك ؟ قال : نعم . قال : هما أعلم ثم رد أبو هريرة ما كان يقول فى ذلك إلى الفضل بن العباس . فقال أبو هريرة سمعت ذلك من الفضل . ولم أسمعه من النبى ﷺ . قال : فرجع أبو هريرة عما كان يقول فى ذلك(١) .

ففى هذا المثال نجد نقد المتن واضحا . فهم يسمعون وينقـــدون ويتأكدون من المختص بذلك . فترجح رواية المختص لأنه أعلم من غيره بهذا الأمر .

(ب) معاضدة أحد الحديثين برواية أو روايات أخرى والمخالف لا مؤيد له .

ومثال ذلك : —

ما رواه مسلم بسنده عن نافع قال : قيل لابن عمر : إن أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من تبع جنازة فله قيراط من الأجر » فقال ابن عمر : أكثر علينا أبو هريرة . فبعث إلى عائشة فسألها فصدقت أبا هريرة فقال ابن عمر : لقد فرطنا فى قراريط كثيرة(٢) .

ففى هذا المثال نجد مساندة عائشة لما يرويه أبو هريرة هى المرجح . فما كان من ابن عمر إلا أن اعترف بالتقصير قائلا : لقد فرطنا فى قراريط كثيرة .

---

(١) صحيح مسلم فى كتاب الصيام باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ٢/٧٧٩ — ٧٨٠

(٢) صحيح مسلم فى كتاب الجنائز باب : فضل الصلاة على الجنازة واتباعها ٢/٦٥٣

(ج) تعدد الواقعة :

قد نجد بعض الأحاديث متضاربة فى الإخبار عن حكم شرعى ، وقد يصعب الترجيح بينها إلا أن بعض الصحابة اتخذ من تعدد الواقعة أسلوبا فى الجمع بين الأحاديث المختلفة . ومثال ذلك :

ما رواه أبو داود فى سننه بسنده عن سعيد بن جبير قال : قلت لعبد الله بن عباس : يا أبا العباس ، عجبت لاختلاف أصحاب رسول الله ﷺ فى إهلال رسول الله ﷺ حين أوجب ، فقال : إنى لأعلم الناس بذلك ، إنها إنما كانت من رسول الله ﷺ حجة واحدة ، فمن هناك اختلفوا خرج رسول الله ﷺ حاجا فلما صلى فى مسجده بذى الحليفة ركعتيه أوجب فى مجلسه ، فأهل بالحج حين فرغ من ركعتيه ، فسمع ذلك منه أقوام فحفظته عنه ثم ركب فلما استقلت به ناقته أهل ، وأدرك ذلك منه أقوام ، وذلك أن الناس إنما كانوا يأتون أرسالا فسمعوه حين أستقلت به ناقته يهل فقالوا : إنما أهل رسول الله ﷺ حين استقلت به ناقته ، ثم مضى رسول الله ﷺ ، فلما علا على شرف البيداء أهل . وأدرك ذلك منه أقوام فقالوا إنما أهل حين علا على شرف البيداء ، وايم الله لقد أوجب فى مصلاه ، وأهل حين استقلت به ناقته ، وأهل حين علا على شرف البيداء(١) .

(١) سنن أبى داود فى المناسك باب وقت الإحرام ٢/١٥٠

٣ — النظر العقلى .

والأمثلة على استعمالهم هذا المقياس كثيرة منها :

(أ) حديث الوضوء مما مست النار :

فقد أمر النبى ﷺ بالوضوء مما مست النار فيما رواه النسائى بسنده عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « توضئوا مما مست النار »(١) ثم نسخه وذلك فيما رواه النسائى أيضا بسنده عن أم سلمه أن رسول الله ﷺ أكل كتفا ، فجاءه بلال فخرج إلى الصلاة ولم يمس ماء(٢)

ولعدم علم بعض الصحابة بهذا النسخ ظلوا يرون الأمر الأول ويرون إيجاب الوضوء مما مست النار ومنهم أبو هريرة .

وقد استعمل ابن عباس العقل فى نقد رواية أبى هريرة فاستبعد أن يكون أكل الطعام الحلال ناقضا للوضوء لأن النار مسته والمعهود فى الشريعة أن ينتقض الوضوء بالخارج النجس ، لا بالداخل الحلال الطاهر

ثم جاءت رواية جابر لتصرح بالنسخ . . فيما روى النسائى بسنده عن محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله قال : كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما مست النار(٣) فوجد ابن عباس أن الناسخ هو ما رجحه العقل .

(١) سنن النسائى فى كتاب الطهارة باب الوضوء مما غيرت النار ١/١٠٥

(٢) سنن النسائى فى كتاب الطهارة باب ترك الوضوء مما غيرت النار ١/١٠٧

(٣) سنن النسائى فى كتاب الطهارة باب ترك الوضوء مما غيرت النار ١/١٠٨

(ب) حديث الوضوء من حمل الميت .

روى أبو داود بسنده عن أبي هريرة أنه قال : من غسل ميتا فليغتسل ومن حمله فليتوضأ(١) . فبلغ ذلك عائشة فقالت : أو نجس موتى المسلمين ؟ وما على رجل لو حمل عودا(٢)

فقد انتقدت السيدة عائشة قول أبي هريرة لأنها وجدت أن الأمر بالغسل من غسل الميت معقول ؟ فقد يصيبه شيء ولكن ما الوجه في أمر من حمله بالوضوء ومعلوم أن المؤمن لا ينجس حيا ولا ميتا(٣) .

مما سبق يتضح لنا استخدام الصحابة لهذا المقياس وهو النظر العقلي إلا أنه لا بد أن ننبه إلى أن ردهم للحديث ليس مبنيا على النظر العقلي فقط بل معه اعتبارات أخرى يجب عدم إغفالها .

ثانيا : مقاييس النقد عند المحدثين

إن المقاييس التي أرساها الصحابة للنقد من عدم قبول حديث يخالف القرآن صراحة ، ولا يناقض ما اشتهر من سنة رسول الله ﷺ أو ما علم من الدين بالضرورة . لم تكن حاجة المحدثين والرواة الأوائل إلى استعمالها إلا في القليل النادر . فقد كانت هذه المقاييس بدهية لديهم لا تحتاج إلى إعمال فكر في استنباطها أو تقعيدها .

(٢) سنن أبي داود في كتاب الجنائز باب في الغسل من غسل الميت ٣/٢٠١

(٢) انظر الإجابة لإيراد ما استدركته السيدة عائشة على الصحابة للزركشي : ١٢١، ١٢٢

(٣) انظر نقد متون السنة ٦١ وما بعدها ، وانظر منهج نقد المتن عند الحديث النبوي ١٠٥ وما بعدها

إلا أنه لما بدأت حركة وضع الأحاديث واختلافها وما يصاحب ذلك من الكذب والافتراء جعل تلك المقاييس تنشط من جديد ووجد المحدثون أنهم في أمس الحاجة إلى استعمالها حتى يذبوا عن سنة رسول الله ﷺ كل ما هو دخيل عليها .

ولما كانت الأحاديث الموضوعة غير صادرة عن رسول الله ﷺ فإن البحث عن مختلقها لا يمكن أن يعرف من الحديث فقط بل من استعراض أسماء رواته أيضا .

وبعض المحدثين من أصحاب التصانيف كان يعنى بتصنيفه حفظ وتدوين ما يروى عن النبي ﷺ بسنده فإنه في هذه الحال يرى أنه غير مطالب بنقد ما يرويه .

والبعض الآخر كان غرضه ذكر الصحيح من الحديث وما قاربه فهو بذلك يحتاج إلى النقد حتى يدون الصحيح ويستبعد الضعيف والموضوع .

وكانت مقاييس النقد عند هؤلاء هي :

١ — عرض الحديث على القرآن ،

وليس معنى ذلك كما قلنا من قبل (عند استعمال الصحابة لهذا المقياس) : أنه يحكم برد كل حديث ظاهره مخالفة القرآن ، لأن المخالفة التي نعنيها هنا هي المخالفة من كل وجه وعدم إمكان الجمع بينهما بوجه من أوجه الجمع المعروفة ..

وأمثلة استعمال المحدثين لهذا المقياس كثيرة منها .

(أ) حديث : ما من نبي نبيء إلا بعد الأربعين .

قال ابن الجوزي : إنه موضوع . ذكره الزركشي وسكت عنه السيوطي .

قال الشيخ على القارى : ويعارضه نص قوله تعالى فى يحيى : «وآتيناه الحكم صبيا»(١) .

وقوله سبحانه فى يوسف : «وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا... الآية»(٢) .

(ب) حديث : الكريم حبيب الله ولو كان فاسقا ، والبخيل عدو الله ولو كان راهبا .

قال الشيخ على القارى : لا أصل له ، بل الفقرة الأولى موضوعة لمعارضتها لنص قوله تعالى : «إن الله يحب التوابين»(٣) ، «إنه لا يحب الكافرين»(٤) «والله لا يحب الظالمين»(٥) ، والفاسق إما من الظالمين أو الكافرين .

«ح» حديث حب الوطن من الإيمان .

قال السخاوى : لم أقف عليه ومعناه صحيح ، قال المناوى : ما ادعاه من صحة معناه عجيب إذ لا ملازمة بين حب الوطن وبين الإيمان ، ويرده قوله تعالى «ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم»(٦) .

فإنه دل على حبهم وطنهم مع عدم تلبسهم بالإيمان إذ ضمير «عليهم» للمنافقين(٧) .

---

(١) من الآية ١٢ من سورة مريم .
(٢) من الآية ١٥ من سورة يوسف وانظر الموضوعات الكبرى ٣٠٩
(٣) من الآية ٢٢٢ من سورة البقرة
(٤) من الآية ٤٥ من سورة الروم .
(٥) من الآية ١٤٠ من سورة آل عمران ، وانظر الموضوعات الكبرى ٢٦٦
(٦) من الآية ٦٦ من سورة النساء
(٧) انظر الموضوعات الكبرى ١٨٠

(د) حديث : لا يدخل الجنة ولد زنى ولا والده ولا ولده .

قال فيه ابن الجوزى : . . ثم أى ذنب لولد الزنا حتى يمنعه من دخول الجنة ، فهذه الأحاديث تخالف الأصول وأعظم ما فى قوله تعالى : «ولا تزر وازرة وزر أخرى»(١) .

(هـ) حديث عن مقدار عمر الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة ، ونحن فى الألف السابعة .

قال ابن القيم : وهذا من أبين الكذب ، لأنه لو كان صحيحا لكان كل أحد عالما أنه قد بقى للقيامة من وقتنا هذا مئتان وأحد وخمسون سنة ، والله تعالى يقول : «يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله»(٢) .

وقال الله تعالى : «إن الله عنده علم الساعة ...»(٣) .

مما سبق يتضح لنا استخدام المحدثين لمقياس عرض الحديث على القرآن وأنهم ردوا كثيرا من الأحاديث التى تتعارض من كل وجه مع القرآن ، ولم يتمكنوا من الجمع بينهما بوجه من أوجه الجمع المعروفة .

٢ — عرض روايات الحديث الواحد بعضها على بعض .

ونتيجة لهذا العرض قد يتبين للناقد أن بعض الألفاظ فى ذلك المتن مدرجة كما قد يتبين له أن فى الحديث اضطرابا ، أو قلبا ، أو تصحيفا .

---

(١) من الاية ١٦٤ من سورة الأنعام ، وانظر الموضوعات لابن الجوزى ١١١/٣
(٢) من الاية ١٨٧ من سورة الأعراف .
(٣) من الاية ٣٤ من سورة لقمان ، وانظر : المنار المنيف ص٨٠

ومن أمثلة ذلك :

(ا) حديث عائشة فى بـدء الوحى : كان النبى ﷺ يتحنث فى غار حراء — وهو التعبد — (١) .

(ب) حديث فضالة : أنا زعيم — والزعيم الحميل — ببيت فى ربض الجنة ... الحديث(٢) .

(ح) حديث فاطمة بنت قيس قالت : سألت أو سئل النبى ﷺ عن الزكاة فقال : « إن فى المال لحقا سوى الزكاة ثم تلا هذه الاية التى فى البقرة « ليس البر أن تولوا وجوهكم .. الاية(٣) .

وحديثها أنها سمعته تعنى النبى ﷺ يقول : « ليس فى المال حق سوى الزكاة »(٤) .

فهاتان الروايتان لا يمكن الجمع بينهما إلا بتعسف ، قال السيوطى فى التدريب : « وأيضا فيمكن تأويله بأنها روت كلا من اللفظين عن النبى ﷺ وأن المراد بالحق المثبت المستحب وبالمنفى : الواجب »(٥) .

وقد أدى هذا الاضطراب والتناقض إلى الحكم على الحديث بالضعف سواء كان أحد رواته ضعيفا أم لا .

(د) حديث أبى هريرة فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظل عرشه يوم

(٢،١) تدريب الراوى ٢٦٧/١

(٣) من الاية ١٧٧ من سورة البقرة والحديث فى جامع الترمذى فى الزكاة باب ماجاء أن فى المال حقا سوى الزكاة ٣٩/٣

(٤) سنن ابن ماجه فى الزكاة باب ماأدى زكاته ليس بكنز ٥٧٠/١

(٥) تدريب الراوى ٢٦٧/١

لاظل إلا ظله قال فيه : « ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما أنفقت شماله »(١) .

والصحيح ماروا ه البخارى وغيره : « حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه »(٢) .

والمعروف عادة أن اليمنى هى المنفقة ، وهذا يدل على القلب ووجود القلب فى حديث ما يدل على عدم ضبط راويها فلو كان ضبطه تاما ماقدم وأخر فيها ، وكلما خف الضبط نزل الحديث درجة .

(ه) حديث أبى موسى العنزى قال : قال النبى ﷺ : « لا يأتى أحدكم يوم القيامة ببقرة لها خوار ، أو شاة تنعر » صحفه أحد الرواة ، وصوابه « أو شاة تيعر »(٣) بالياء المثناة من تحت .

فعرض الروايات بعضها على بعض من المقاييس التى استعملها المحدثون حتى يتبين لهم إن كان هناك إدراج أو اضطراب أو قلب أو تصحيف ، أو غير ذلك .

٣ — عرض السنة بعضها على بعض :

لقد استعمل المحدثون هذا المقياس ، فكانوا يعرضون الحديث الذى يسمعونه على ماعرف من الأحاديث مما يؤيده عمل الأمة ، فإذا خالفه وكان الحديثان صحيحين ، فإن أمكن الجمع بينهما بتخصيص عموم أحدهما ، أو تقييد مطلقه ، أو نسخة إن علم التاريخ حكم بذلك ولم يرد الحديث ، وإلا فلابد من الترجيح .

(١) صحيح مسلم فى الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة ٧١٥/٢

(٢) صحيح البخارى فى كتاب الزكاة باب الصدقة باليمين ١٣٨/٣

(٣) توضيح الأفكار ٢٤٢

أما إذا كان أحدهما صحيحا والآخر ضعيفا ، فإن الضعيف يطرح .

وقد ذكر المحدثون عددا من الترجيحات منها ماهو مبنى على النظر إلى المتن ومنها ماهو مبنى على النظر فى الإسناد(١) .

فالتداخل بين الاسناد والمتن فى هذا الأمر واضح ، ولا يمكن إغفال الاسناد دائما فلا قيمة لنص لم يصلنا باسناد صحيح .

قال الخطيب : « وكل خبرين علم أن النبى ﷺ تكلم بهما فلا يصح دخول التعارض بينهما على وجه وإن كان ظاهرهما متعارضين ، لأن معنى التعارض بين الخبرين أن يكون موجب أحدهما منافيا لموجب الاخر ، وذلك يبطل التكليف إن كان أمرا ونهيا ، وإباحة وحظرا ، أو يوجب كون أحدهما صدقا والآخر ، كذبا إن كانا خبرين ، والنبى ﷺ منزه عن ذلك أجمع ، ومعصوم منه باتفاق الأمة .

إذا ثبتت هذه الجملة وجب أن يحمل النفى والإثبات على أنهما فى زمانين أو فريقين . أو على شخصين ، أو على صفتين مختلفتين ، هذا مالابد منه»(٢)

ومن أمثلة استعمال المحدثين لمقياس عرض السنة بعضها على بعض :

(أ) حديث : إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث » وحديث : خلق الله الماء طهورا لا ينجسه إلا ما غير طعمه أو لونه أو ريحه » .

فإن الأول ظاهره طهارة القلتين ، تغير أم لا .

---

(١) انظر الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار للحازمى ص١١ — ٢٣ فقد ذكر فيه خمسين وجها من وجوه الترجيح مع الأمثلة لكل وجه وقال فى نهايتها : « فهذا القدر كاف فى ذكر الترجيحات ، وثم وجوه كثيرة أضربنا عن ذكرها كيلا يطول به هذا المختصر .

(٢) الكفاية ٦٠٧ .

والثانى : ظاهره طهارة غير المتغير سواء ، كان قلتين أم أقل ، فخص عموم كل منهما بالآخر(١)

(ب) حديث : « لا يورد ممرض على مصح ، وحديث « فر من المجذوم فرارك من الأسد » مع حديث : « لا عدوى » .

وقد سلك الناس فى الجمع مسالك :

أحدها : أن هذه الأمراض لا تعدى بطبعها ، لكن الله تعالى جعل مخالطة المريض بها للصحيح سببا لإعدائه مرضه ، وقد يتخلف ذلك عن سببه كما فى غيره من الأسباب وهذا المسلك هو الذى سلكه ابن الصلاح

الثانى : أن نفى العدوى باق على عمومه : والأمر بالفرار من باب سد الذرائع

وهذا المسلك هو الذى سلكه شيخ الإسلام .

---

(١) تدريب الراوى ٢ / ١٩٧ ، والحديث الأول أخرجه أبو داود فى الطهارة باب ماينجس الماء ١ / ١٧ والترمذى فى الطهارة باب تابع لباب ماجاء أن الماء لا ينجسه شىء ١ / ٩٧ والنسائى فى الطهارة باب التوقيت فى الماء ١ / ٤٦ ، وفى المياه باب التوقيت فى الماء ١ / ١٧٥ ، وابن ماجه فى الطهارة باب مقدار الماء الذى لا ينجس ١ / ١٧٢ والامام أحمد ٢ / ٢٣ ، ٢٧ ، ١٠٧ .

والحديث الثانى أخرجه أبو داود فى الطهارة باب ماجاء فى بئر بضاعة ١ / ١٨ . والترمذى فى الطهارة باب ماجاء أن الماء لا ينجسه شىء ١ / ٩٥ والنسائى فى المياه باب ذكر بئر بضاعة ١ / ١٧٤ ، وابن ماجه فى الطهارة باب الحياض ١ / ١٧٣ - والإمام أحمد ١ / ٢٣٥ ، ٢٨٤ ، ٣٠٨ ، ٣ / ١٦ ، ٦ / ١٧٢ ، ٣٣٠

الثالث : أن إثبات العدوى فى الجذام ونحوه مخصوص من عموم نفى العدوى .

قاله القاضى أبو بكر الباقلانى :

الرابع : أن الأمر بالفرار رعاية لخاطر المجذوم ، لأنه إذا رأى الصحيح تعظم مصيبته وتزداد حسرته »(١)

(ج) حديث « أفطر الحاجم والمحجوم »(٢) منسوخ بحديث ابن عباس

(١) انظر تدريب الراوى ٢ / ١٩٧ : وحديث « لايورد ممرض على مصح » أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب السلام باب لاعدوى ولاطيرة. إلخ ٤ / ١٧٤٣ ، وأبو داود فى سننه فى كتاب الطب باب فى الطيرة ٤ / ١٧

وابن ماجه فى سننه فى الطب باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة ٢ / ١١٧١ . والإمام أحمد ٢ / ٤٠٦ ، ٤٣٤ .

وحديث « فر من المجذوم فرارك من الأسد » أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب المرضى باب : الجذام ٧ / ١٦٤ والإمام أحمد ٢/٤٤٣

وحديث : « لاعدوى . أخرجه البخارى فى الطب باب لاهامة ٧/١٧٩ وباب لاعدوى ٧ / ١٧٩ .

ومسلم فى السلام باب لاعدوى ولا طيرة . إلخ ٤ / ١٧٤٣ وأبو داود فى الطب باب فى الطيرة ١ / ١٧ وابن ماجه فى سننه فى المقدمة باب فى القدر ١ / ٣٤ ، وفى الطب باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة ٢/١١٧١ والامام أحمد ١/١٧٤ ، ١٨٠ ، ٢٦٩ ، ٣٣٨ ، ٤٤٠

(٢) سنن أبى داود فى الصوم باب فى الصائم يحتجم ٢ / ٣٠٨ وجامع الترمذى فى الصوم باب كراهية الحجامة للصائم ٣ / ١٣٦ وسنن ابن ماجه فى الصيام باب ماجاء فى الحجامة ١/٥٣٧ ومسند الإمام أحمد ٢/٣٦٤ =

أن النبى ﷺ احتجم وهو محرم صائم »(١) كما قال الإمام الشافعى :

٤ — عرض الحديث على المعلوم من التاريخ :

وذلك بأن كان فى الحديث مايدل على زمن وقوعه ، والتاريخ المعلوم عند الناقد يخالف ذلك . حكم على الحديث بعدم صحته .

ومن أمثلة ذلك :

(أ) عن أنس بن مالك قال : أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك فاستقبله سعد بن معاذ الأنصارى ، فصافحه النبى ﷺ ، ثم قال له :

« ماهذا الذى أكتبت يداك ! » قال يارسول الله . أضرب بالمر والمسحاة فأنفقة على عيالى قال : فقبل النبى ﷺ يده وقال : « هذه يد لاتمسها النار النار أبدا »(٢).

وقد استخدم ابن الجوزى المعلومات التاريخية لبيان وضع هذا الحديث فقال : « هذا حديث موضوع وما أجهل واضعه بالتاريخ فإن سعد بن معاذ لم يكن حياً فى غزاة تبوك . لأنه مات بعد غزاة بنى قريظة من السهم الذى

= ٣ / ٤٧٤ ، ٤٨٠ ، ٤ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ٥ / ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٦ / ١٢ ، ١٥٧ ، ٢٥٨

(٣) صحيح البخارى فى الصوم باب الحجامه والقى للصائم ٣/٤٢ ، ٤٣ ، وفى الطب باب فى أى ساعه يحتجم ٧/١٦١ وجامع الترمذى فى الصوم باب ماجاء من الرخصة فى ذلك (فى الحجامة) ٣/١٣٧ وسنن ابن ماجه فى الصيام باب ماجاء فى الحجامة للصائم ١ / ٥٣٧ وسنن أبى داود فى الصوم باب فى الرخصة فى ذلك (فى الصائم يحتجم) ٢ / ٣٠٩

(٢) الموضوعات لابن الجوزى ٢/٨

رمى به يوم الخندق ، وكانت غزاة بنى قريظة فى سنة خمس من الهجرة فأما غزاة تبوك فإنها كانت فى سنة تسع (١)

(ب) وعن أبى هريرة قال: لما دخل رسول الله ﷺ المدينة مهاجرا من مكة أشعث أغبر ، أكثر عليه اليهود المسائل ، والنبى ﷺ يجيبهم جوابا متدارکا بإذن الله عز وجل ، وكانت خديجة قد ماتت بمكة ، فلما أن دخل النبى ﷺ المدينه واستوطنها طلب التزويج فقال لهم : انكحونى ، فأتاه جبريل عليه بخرقة من الجنة طولها ذراعين فى عرض شبر ، فيها صورة لم ير الراءون أحسن منها ، فنشرها جبريل وقال: يامحمد إن الله تعالى يقول لك أن تزوج على هذه الصورة فقال له النبى ﷺ : أنا من أين لى مثل هذه الصورة ياجبريل ؟ فقال له جبريل إن الله يقول لك تزوج ابنة أبى بكر الصديق ، فمضى رسول الله ﷺ إلى منزل أبى بكر فقرع الباب ثم قال : ياأبا بكر إن الله أمرنى أن أصاهرك وكان له ثلاثة بنات فعرضهن على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ إن الله أمرنى أن أتزوج بهذه الجارية وهى عائشة ، فتزوجها رسول الله ﷺ »(٢)

قال ابن الجوزى : « ما أبعد الذى وضعه عن العلم فإن رسول الله ﷺ تزوج عائشة وهو بمكة ، ولم يكن لأبى بكر حينئذ ثلاث بنات ما كان له غير أسماء وعائشه وإنما جاءته بنت بعد وفاته يقالى لها أم كلثوم(٣)

(١) الموضوعات لابن الجوزى ٢ / ٨

(٢ ، ٣) الموضوعات لابن الجوزى ٢/٨

٥ — اشتمال الحديث على أمر مستحيل :

والمستحيل المراد به هنا ماهو مستحيل فى ذاته، وماهو مستحيل بالنسبة للبشر ، وإن كان ليس مستحيلا فى قدرة الله تعالى .

وعليه فإنه لابد من إخراج أحاديث المعجزات والكرامات من إجراء هذا المقياس عليها متى ثبتت بطرق صحيحة .

وأمثلة استعمال المحدثين لهذا المقياس كثيرة منها .

(أ) عن أبى هريرة قال : قيل يارسول الله مم ربنا من مامرور قال : لا من الأرض ولا من سماء ، خلق خيلا فأجراها فعرقت فخلق نفسه من ذلك العرق (١)

هذا الحديث اشتمل على أمر مستحيل حيث جعل الرب سبحانه وتعالى مخلوقا . قال ابن الجوزى « هذا حديث لايشك فى وضعه ، وماوضع مثل هذا مسلم ، وأنه لمن أدرك الموضوعات وأدبرها إذ هو مستحيل لأن الخالق لايخلق نفسه »(٢)

(ب) عن أسماء قالت : قالت قال رسول الله ﷺ رأيت ربى عزوجل على جمل أحمر عليه إزار وهو يقول . قد سمحت قد غفرت إلا المظالم فإذا كانت ليلة المزدلفة لم يصعد إلى السماء الدنيا وتنصرف الناس إلى منى»(٣)

وفى لفظ آخر « ينزل إلى السماء الدنيا ، ثم يفتح أبواب السماء والأرض ويقعد معه الملائكة »(٤)

(١) الموضوعات لابن الجوزى ١ / ١٠٥

(٢) المرجع السابق (٣ ، ٤) المرجع السابق ١/١٢٤، ١٢٥

قال ابن الجوزى : هذا حديث لا يشك أحد فى أنه موضوع محال ، ولا يحتاج لاستحالته أن ينظر فى رجاله، إذ لو رواه الثقات كان مردوداً، والرسول منزه أن يحكى عن الله عز وجل ما يستحيل عليه ، وأكثر رجاله مجاهيل وفيهم ضعفاء »(١) .

(ح) عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « ولد لسليمان ابن فقال للشيطان : أين أداريه من الموت؟ قالوا : يذهب به إلى تخوم الأرض، قال : يصل إليه الموت. قالوا : قعر البحر . قال : يصل إليه الموت ، قالوا: يذهب به إلى الغرب قال : يصل إليه الموت قالوا : فإلى الشرق قال : يصل إليه الموت ، قالوا فتصعد به بين السماء والأرض قال نعم قال :فصعدوا به، ونزل ملك الموت فقال : يا ابن داود إنى أمرت بقبض النسمة ، وطلبتها فى البحر فلم أصبها ، وطلبتها فى الأرض فلم أصبها وطلبتها فى الشرق والغرب فلم أصبها فبينما أنا أصعد إلى السماء أصبتها فقبضتها .

قال : وجاء جسده حتى وقع على كرسيه ، وذلك قول الله عز وجل «ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب»(٢) .

قال ابن الجوزى : « هذا حديث موضوع ولا يجوز أن ينسب إلى سليمان وهو نبى كريم أنه يفر من الموت ، ولا أنه يقر على أن كونه بين السماء والأرض يدفع الموت»(٣).

---

(١) المرجع السابق ١/١٢٤، ١٢٥

(٢ ، ٣) الموضوعات لابن الجوزى ٣/٢١٧ ، ٢١٨ ، وانظر نقد متون السنة ١١٧ وما بعدها وانظر نقد المتن عند علماء الحديث النبوى ٢٣٩ وما بعدها .

وبعد :

فقد ظهر بالأدلة القاطعة أن علماء الحديث ومن قبلهم من الصحابة والتابعين كانوا ينقدون الحديث ، وكانوا لا يكتفون بنقد الإسناد فقط بل كانوا ينقدون المتن أيضاً .

وفى ذلك رد على المستشرقين ومن سار على نهجهم من اتهامهم للمحدثين بعدم اعتنائهم بنقد متون الأحاديث .

مع أن اعتناء المحدثين بالإسناد ليس لذاته بل لمصلحة المتن فمتى كان رواة الحديث من الثقات الأثبات كان الإطمئنان إلى صحة ما نقلوه أكثر، علما بأن المحدثين يقولون إن صحة الإسناد لا يترتب عليها صحة المتن فكم من أحاديث قالوا عنها : صحيحة الإسناد وردوا متونها . منها :—

(ا) ما رواه الذهبى فى ميزان الإعتدال عن ابن عباس أنه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه على فقال يارسول الله ، تفلت القرآن من صدرى . قال أفلا أعلمك كلمات تثبت ما تعلمت فى صدرك ! فقال أجل . قال إذا كانت ليلة الجمعة فقم بأربع ركعات تقرأ فيهن يس ، والدخان ، وتنزيل ، وتبارك ثم تدعو وذكر الحديث .

قال : وهو مع نظافة سنده حديث منكر جداً فى نفسى منه شىء»(١) .

وقال الذهبى معقباً على الحاكم فى المستدرك : «هذا حديث منكر شاذ أخاف لا يكون موضوعاً وقد حيرنى والله جودة سنده»(٢) .

(ب) ما رواه الذهبى فى الميزان أيضاً : عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «أغسلوا قتلاكم» .

---

(١) ميزان الإعتدال ٢/٢١٣

(٢) التلخيص للحافظ الذهبى على هامش المستدرك للحاكم ١/٣١٨

قال : رواته ثقات وفكارته بينة .

(ح) ماروواه الخطيب فى تاريخ بغداد عن عائشة قالت : كانت ليلتى من رسول الله ﷺ ، فلما ضمنى وإياه الفراش قلت يارسول الله ألست أكرم أزواجك عليك؟ قال : «بلى باعائشة» قالت : فحدثنى عن أبى بفضيلة ، قال: «حدثنى جبريل أن الله تعالى لما خلق الأرواح اختار روح أبى بكر الصديق من بين الأرواح وجعل ترابها من الجنة وماؤها من الحيوان ، وجعل له قصراً فى الجنة من درة بيضاء مقاصيرها فيها من الذهب والفضة البيضاء ، وأن الله تعالى آلى على نفسه أن لا يسلبه حسنة ، ولا يسأله عن سيئة ، وإنى ضمنت على الله كما ضمن الله على نفسه أن لايكون لى ضجيعاً فى حفرتى ولا أنيسا فى وحدتى ، ولا خليفة على أمتى من بعدى إلا أبوك ياعائشه» بايع على ذلك جبريل وميكائيل ، وعقدت خلافته براية بيضاء ، وعقد لواؤه تحت العرش . قال الله للملائكة : رضيتم مارضيت لعبدى؟ فكفى بأبيك فخراً أن بايع له جبريل وميكائيل وملائكة السماء وطائفة من الشياطين يسكنون البحر فمن لم يقبل هذا فليس منى ولست منه ، قالت عائشة فقبلت أنفه وما بين عينيه فقال : حسبك ياعائشة فمن لست بأمه فوالله ما أنا بنبيه ، فمن أراد أن يتبرأ من الله ومنى فليتبرأ منك ياعائشة».

قلت : لايثبت هذا الحديث ورجال اسناده كلهم ثقات(١).

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/٣٥ ، ٣٦